وعندما يراني الشاب الذي يعمل بهذه المكتبة مع بداية كل شهر يبادرني برده المعتاد أن المجلة تأخر وصولها أو أنها نفذت فأبحث عنها في أماكن أخرى، ووعندما زار الأستاذ/ سليم زبال الولاية قبل عدة سنوات زيارة سريعة خاطفة والتقى به بعض محبي مجلة العربي حزن الآخرون على عدم تمكنهم من رؤيته والالتقاء به.

تقف المكتبة المتنقلة لوزارة التراث القومي والثقافة (سابقًا) أمام محلنا التجاري الصغير أمام المستشفى وهي تحمل مطبوعات الوزارة في الفقه والتاريخ والشعر لتباع بأسعار مخفضة ضمن خطة وضعتها الوزارة، آنذاك للوصول بمطبوعاتها إلى معظم ولايات السلطنة.

كانت هذه الذخيرة المتحركة فرصة لي وللمهتمين من أبناء الولاية ومنهم والدي رحمه الله وأعمامي الذين كانت تستهويهم هذه الكتب وبخاصة دواوين الشعراء العمانيين من العصرين القديم والحديث.

جماعات الأنشطة الطلابية كانت تستهويني كجماعة الإذاعة والإنشاد والموسيقى والكشافة والمسرح وجماعة أصدقاء المكتبة، كل هذه الجماعات وجماعات اللغة الإنجليزية التي كان يشرف عليها الأستاذ/ الطيب الزبير الطيب السوداني الجنسية.

هذا الرجل الذي حبب إليّ اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية لدرجة أنني كنت أحصل على الدرجة النهائية في مادته، وكان يقول لزملائي من أراد أن يتأكد من صحة إجاباته فليسأل (سعيد).

عشقت اللغة الإنجليزية التي حببها إليَّ كذلك الأساتذة البريطانيون (الإنجليز والاسكتلنديون والإيرلنديون) الذي افتتحوا مكتبة للغة الإنجليزية بمدرسة أحمد بن سعيد القريبة من منزلنا في الحي التجاري.

كانت قصة (**Road to no Where**) من القصص التي كانت مقررة في منهاج اللغة الإنجليزية حيث كانت أحداثها تدور في السودان وبطلها شخصية سودانية، وتتحدث عن بدايات وصول شركات التعمير والإنشاءات إلى السودان ورغبة الشركة في إنشاء سد في إحدى القرى وانقسم الناس ما بين مؤيد ومعارض لهذا المشروع الذي تغلب فيه المؤيدون وبني السد وعندما جاءت الأمطار غرقت القرية التي تسكن فيها حبيبة بطل القصة.

كنت أتقمص دور القاضي السوداني في بعض المسرحيات التي كانت تقام بالمعهد مرتديًا الزي السوداني

منحني التحاقي بجماعتي أصدقاء المكتبة واللغة الإنجليزية ولعًا باستعارة الكتب باللغتين من هاتين المكتبتين بشكل دائم تحول بعد سنوات إلى شراء واقتناء الكتب وتصوير المخطوطات والاشتراك في بعض المجلات والدوريات.

لا أدري لماذا الاهتمام بالسودان على وجه الخصوص؟ هل لأننا ارتبطنا جميعًا إلى جانب بعض دول الخليج وبعض دول العالم العربي بالإنجليز منذ سنوات طويلة، أو لأن ارتباطنا نحن العمانيين على وجه الخصوص بأفريقيا وانطلاقنا لتكوين حضارة وإقامة إمبراطورية عظيمة كان لها شأن عظيم في ما مضى حببت إليّ بطريقة لا شعورية الاهتمام بكل ما هو أفريقي فزاد اهتمامي بالسودان، وكتبت عن الوجود العماني في شرق أفريقيا، وأنجزت أطروحتي للدكتوراه في المغرب، وقدر لي أن أعمل ملحقًا ثقافيًا في سفارة سلطنة عمان بالقاهرة.

انعكس تأثير جماعة المسرح وحب السودان على شخصيتي فظهرت بعض نتائجه حينما كنت أدرس بمعهد رأس الخيمة العلمي، فإلى جانب التحاقي بعدد من الجماعات في المعهد كجماعة الكشافة والرحلات كان يطلب مني بإلقاء بعض قصائدي وقراءة القرآن في الاحتفالات الكبرى التي تقام بالمعهد، يرعاها المغفور له الشيخ/ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة آنذاك.

كنت أتقمص دور القاضي السوداني في بعض المسرحيات التي كانت تقام بالمعهد مرتديًا الزي السوداني ومعتمرًا العمة السودانية.

ومنذ أيام ميكرة من حياتي كانت تنتابني رغبة لاستكمال دراستي الجامعية في الأزهر الشريف لأتخصص في علم القراءات القرآنية أو الدراسة في بريطانيا لإرضاء الولع باللغة الإنجليزية فقدر لي أن أدرس العلوم الدينية واللغوية في معهد علمي متخصص (معهد رأس الخيمة العلمي) التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الشبيه بالمعاهد الأزهرية، وعملت ملحقًا ثقافيًا بالقاهرة لمدة أربع سنوات فتحقق جزء من الرغبة الأولى، أما الرغبة الثانية فتحققت من خلال تفوق ودورات داخلية وخارجية وقراءات دائمة لكل ما له صلة باللغة الإنجليزية، لكن التوق والحنين لرغبات الصبا والشباب وطموحاتها ولم يتوقفا بعد.

وتجدر الإشارة إلى أن عددًا من الأساتذة السودانيين الذين أسهموا في خدمة التعليم في السلطنة في فترة السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي كانوا من خريجي معهد التربية بـ «بخت الرضا» وبعضهم تعلم في ثانوية «حنتوب» اللذين سنفصل الحديث فيها لارتباطهما الوثيق بموضوع مقالنا بشكل مباشر. أما الآخرون فقد تخرجوا في ثانوية «غوردن» الشهيرة أو في جامعة الخرطوم أو جامعة أم درمان أو غيرها من الجامعات السودانية، وبعضهم الآخر أكمل تعليمه في مصر أو في المملكة المتحدة (بريطانيا).

أكرهك ؟

رشا أحمد

وأنا أتحدث عنك
كي أوقظ
بحة حزني
أكرهك
أستعير من دانتي مقولته
(أنت كمثل الدائرة
تبتعد عن جميع نقاط محيطك
بالقدر ذاته إلا أنا)
تلك المرأة
التي لاتعرفها
حزنها
صوتها المستعار
الذي يكذب دوما
ليخبرك أنها بخير

كفي البارد
الفجوة التي أتحسسها
كلما تحسست صدري
الكلمات
المرة
التي في
حلقي
التي تخنقني
أدس بجيوب قلبي
كل ماستطعت من حزن

غيابك
زادك توغلا في دمي
فشعريرة الوحدة
التي تمشط روحي ولا يتسرب منها
إلا صمتك
الصمت الهادر الذي نلتهمه معا
كقطعة حلوى شديدة المرار

نعم أنا مهزومة
كشجرة قاحلة بالعراء
وحيدة
استجدي عناقا من الريح
وتأبى الريح
أن تلامس أصابعي !